مفتاح النجاح

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد،،

فهذا كتاب (**مفتاح النجاح**)، كتبته لكل صاحب همة، ورب عزيمة، ورفيق طموح، يريد النجاح في هذه الدنيا والآخرة، فيكون مقبولاً عند الله وعند خلقه، راضياً عن ربه وربه راض عنه، محبوباً عند أهله وذويه وأصحابه، لحياته معنى وله قضية، ولديه مبدأ؛ وجعلته ثلاثة عشر فصلاً.

وكان آخرها قصيدة لكل موهوب، ومنظومة لكل طموح، تقول له: هيا إلى المجد يا ابن الجد، وأقبل إلى المعالي، واهجر الكرى، وفارق الكسل، واصعد سُلَّم الإبداع، وترقَّ في درج الكمال، واهتف بقلبك: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبلغنا جميعاً منازل الناجحين الفالحين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عائض القرني

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الأول

منطلقات الناجحين

- الأعمال بالنيات فانوِ الخير في كل عمل، واستحضر نفع الآخرين، والكف عن الشر.
- لا تضق ذرعاً بالمحن فإنها تصقل الرجال، وتقدح العقل، وتشعل الهمم.
- العمل والجد هو الطريق الأعظم إلى المجد، وهو بلسم لأدوائك، وعلاج لأمراضك، بل هو كنزك.
- قيمة كل امرئٍ ما يحسن، والعاطل صفر، والفاشل ممقوت، والمخفق رخيص.
- ركِّز اهتمامك على عمل واحد، وانغمس فيه، واحترق به، واعشقه لتكن مبدعاً.
- ابدأ بالأهم فالمهم، وإياك والشتات وتوزيع الجهد على عدة أعمال فإنه حيرة وعجز.
- النظام طريق النجاح، ووضع كل شيء في موضعه مطلب للناجحين؛ أما الفوضى فهي صفة مذمومة.
- الناجحون يحافظون على مقتنياتهم وأمتعتهم وأشيائهم، فلا يبذرون ولا يفسدون.
- لا يفوح العطر حتى يسحق، ولا يضوَّع العود حتى يُحرق، وكذلك الشدائد لك هي خير ونعمة.
- الناجح لا يغلب هواه عقلَه، ولا عجزُه صبرَه، ولا تستخفّه الإغراءات، ولا تشغله التَّوافه.
- إياك والضجر والملل، فإن الضجر لا يؤدي حقّاً، والملول لا يرعى حرمة، وعليك بالصبر والثبات.
- من ثبت نبت، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن صبر ظفر، ومن عزَّ بزَّ.

obeikandl.com

- النملة تكرر الصعود ألف مرة، والنحلة تذهب كرَّة بعد كرَّة، والذئب من أجل طعامه هجر المسرَّة.
- لمَّا هوى السيف قَطَع، ولمَّا اشتعل البرق سَطَع، ولمَّا تواضع الدر رُفِع، ولمَّا جرى الماء نَفَع.
- الكسول مخذول، والهائم نائم، والفارغ بطال، وصاحب الأماني مفلس.
- من لم يكن له في بدايته احتراق لم يكن له في نهايته إشراق، ومن جدَّ في شبابه ساد في شيخوخته.
- تذكر أن في القرآن: سارعوا، وسابقوا، وجاهدوا، وصابروا، ورابطوا.
- وفي السنة: احرص على ما ينفعك، وبادروا بالأعمال، ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.
- أبو بكر الصديق ثاني اثنين، أنفق كلَّ ماله، ويدعى من أبواب الجنة الثمانية، وهو قامع الردة.
- عمر بن الخطاب، يفرُّ منه الشيطان، وافقه الوحي أكثر من مرة.
- عثمان بن عفان يجهز جيش العسرة، ويوقف بئر رومة ويختم القرآن في ركعة.
- علي بن أبي طالب يبارز في بدر، ويفتح حصن خيبر، ويقتل مرحباً، ويذبح عمرو بن ود يوم الخندق.
- وخالد بن الوليد يخوض مائة غزوة، ويَقتل يوم اليرموك خمسة آلاف بيده، ويكسر تسعة أسياف.
- وجُرِحَ الزبيرُ بن العوام في كل جزء من جسمه، وحمل السيف بين يدي رسول الله ﷺ حتى صار حواريَّه في الجنة.
- وضُرِبَ طلحةُ في جسمه حتى شُلَّت يدُه، وقُتِل حنظلةُ جنباً فغسلته الملائكة، واهتز عرش الله لموت سعد.

- وطُعِنَ عبدُالله بن عمرو والد جابر أكثر من ثمانين طعنة فكلَّمه الله بلا ترجمان.
- وجمع أبيٌّ بن كعب القرآن وجوَّده، فذكره الله في الملأ الأعلى، وأمر رسولَه ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة.
- وتصدَّق ابن عوف بألف جمل بحمولتها على الفقراء، وتصدَّق أبو طلحة بمزرعته في سبيل الله.
- وحفظ أبو هريرة غالب السنة، ووزَّع ليله ثلاثاً؛ للصلاة والمذاكرة والنوم.
- ومشى أحمد بن حنبل ثلاثين ألف ميل في طلب الحديث، وحفظ ألف ألف أثر، وترك المسند أربعين ألفاً.
- وسافر جابر بن عبدالله في طلب حديث واحد إلى مصر شهراً، وسافر ابن المسيب ثلاثة أيام في مسألة.
- وروى ابن حبان الحديث عن ألفي شيخ، وصنَّف الصحيح فصار أعجوبة، وتبحَّر في الفنون حتى صار نجمَ زمانه.
- وكرر المزني رسالة الشافعي خمسمائة مرة، وكرر عالم أندلسي البخاري سبعمائة مرة.
- وأعاد أبو إسحاق الشيرازي درسه مائة مرة، وأعاد كلَّ قياس ألف مرة، وألَّف مائة مجلد.
- وصنف ابن عقيل الفنون ثمانمائة مجلد، وكان يأكل الكعك عن الخبز ليوفر قراءة خمسين آية.
- وكتب ابن تيمية في اليوم أربع كراريس، تُفَرَّغُ الواحدةُ منها في أسبوع، ويؤلِّف كتاباً كاملاً في جلسة واحدة، وكُتِبَ عنه أكثر من ألف مؤلف.
- وكتب ابن جرير مائة ألف صفحة، وصنف ابن الجوزي ألف مصنف، وحفظ ابن الأنباري أربعمائة تفسير.

obeikandl.com

- وبقي عطاء بن أبي رباح ينام في المسجد ثلاثين سنة في طلب العلم، وما فاتت تكبيرة الإحرام الأعمش ستين سنة.
- وذكر النووي أن كرز بن وبرة كان يختم القرآن أربعاً في الليل وأربعاً في النهار، وختم ابن إدريس القرآن في بيته أربعة آلاف مرة، وكان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة، والبخاري ثلاثين مرة، وكان أحمد يصلي في اليوم ثلاثمائة ركعة.
- وكان أبو هريرة يسبح اثني عشر ألف تسبيحة، وكان خالد بن مروان يسبح مائة ألف تسبيحة.
- وعاصرنا من كان يقرأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة كل يوم، ومن كان يختم القرآن كل يوم ختمة، ومن كان يسبِّح خمسة عشر ألف تسبيحة في اليوم.
- وألَّف سيبويه أعظم كتاب في النحو وهو في الثلاثين من عمره، وتوفي النووي وعمره أربعون سنة وقد ترك تراثاً ضخماً.
- وطرفة بن العبد من أصحاب المعلقات، قُتِلَ وعمرُه ستٌّ وعشرون، وقاد محمد بن القاسم الجيوش وعمره سبع عشرة سنة.
- وروى الحسن الحديث عن جده ﷺ وعمره خمس سنوات، وعقل محمود بن الربيع مجة الرسول ﷺ في وجهه وعمره خمس سنوات.
- وحفظ ابن عباس الحديث وعمره ثماني سنوات، وكان ابن تيمية يفتي وعمره ثماني عشرة سنة.
- وألف ابن حجر الفتح ومقدمته في ثنتين وثلاثين سنة، وكتاب الغريب لأبي عبيد في أربعين سنة، وكتاب الأغاني للأصفهاني في خمسين سنة.
- وقتل جعفر البرمكي الوزير الخضير الجواد وعمره سبع وثلاثون سنة، وعمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد الزاهد أربعون سنة، وابن المقفع سبع وثلاثون سنة.

obeikandl.com

- وحج مسروق فما نام إلا ساجداً، وصام الأسود بن يزيد حتى اخضر جسمه، وبكى يزيد بن هارون حتى ذهبت عيناه، ومشى أبو موسى الأشعري حتى تشققت قدماه.
- وقال البخاري: ما كذبت كذبة منذ احتلمت، وقال الشافعي: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً.
- ما عال من اقتصد، وما فشل من اجتهد، ومن تفقَّه في شبابه تعلقت السيادة بأهدابه.
- مالُكَ هو عمُّكَ وخالُكَ، وفلوسُك هي ضروسُك، ودراهمُك هي مراهمُك، فلا تسرفْ ولا تبخلْ.
- إن الماء الراكد يأسن، وإن البلبل المحبوس يموت، والليث المقيَّد يذل.
- ألذ طعام بعد جوع، وأعذب ماء بعد ظمأ، وأهنأ نوم بعد تعب، وأجمل نجاح بعد تضحية.
- إن الكتب تلقِّن الحكمة ولكنها لا تخرِّج حكماء، والسيف يقتل لكن بكف الشجاع.
- السباحة لا تُتعلم في الدفاتر ولكن في الماء، والرياضة لا تتلقى من الشاشة لكن في الميدان.
- الدنيا تؤخذ غلاباً، وسوق المجد مناهبة، والحياة صراع، والعلياء تنال بالعزائم.
- مَنْ عنده همة متوقدة، ونفس متوثبة، ونشاط موار، وصبر دائم فهو الفريد.
- قيل لأبي مسلم الخرساني: مالك لا تنام؟ قال: همة عارمة، وعزيمة ماضية، ونفس لا تقبل الضيم.
- أسرع الفرس فركبه الملوك، وتبلَّد الحمار فركبه العبد، وافترس الأسد فملَكَ الغابة.

- لا يُرهَبُ السيفُ حتى يسلَّ، ولا يُخافُ الرعدُ حتى يجلجلَ، ولا يُهرب من السيل حتى يحتدمَ.
- أجرى أدسون مكتشف الكهرباء عشرة آلاف تجربة على بطارية، كلها أخطأت فواصل حتى نجح.
- وأقام أنشتاين عمره كله في النظرية النسبية.
- جُمِعَ من براية أقلام ابن الجوزي ما أُدفِئَ به ماءُ غسله عند الموت.
- وجُمِعَ الغبارُ من عمامة صلاح الدين فجعل لبنة تحت رأسه في القبر.
- وتركَ حملُ الطعام للأيتام في الظلام في جسم علي بن الحسين آثاراً وندوباً.
- ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾.
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾.
- (الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).
- أجمل السواعد سواعد العمال، وأحسن الرؤوس رؤوس المحلقين، وأهنأ النعاس نعاس المتهجِّدين، وأطهر الدماء دماء الشهداء.
- الذي يقهر نفسه أعظم ممن يفتح مدينة، والذي يقاوم هواه أجلُّ ممن يحارب جيشاً.
- صام أبو طلحة الأنصاري أربعين سنة سرداً، وحج ابن المسيب ستين حجة، وأفتى الإمام أحمد في ستين ألف مسألة بالدليل.
- خدم أبو شجاع الملوك ستين سنة، فكفَّر عنها بخدمة ستين سنة في مسجد الرسول ﷺ.

obeikandl.com

- فكن رجلاً رجله في الثرى
  وهامة همته في الثريا
- لا تسقني ماء الحياة بذلةٍ
  بل فاسقني بالعزِّ ماء الحنظل
- طاف ابن بطوطة الدنيا في ثلاثين سنة، ولقي في رحلته الألاقي حتى جمع الغرائب والعجائب وصار حديث الدهر.
- اعتزل ابن خلدون في قلعة فكتب تاريخه وحرره وحبَّره فصار آية للسائلين.
- كتب ابن عساكر الحافظ تاريخ دمشق في ستين سنة، فما ترك عالماً ولا أديباً ولا شاعراً ولا شاردة ولا واردة عن دمشق إلا سجَّلها.
- اطلب ولا تضجر من مطلب
  فآفة الطالب أن يضجرا
  أما ترى الحبل بطول المدى
  على صليب الصخر قد أثرا
- وإنما رجل الدنيا وواحدها
  من لا يعول في الدنيا على رجل
- ومشتت العزمات ينفق عمره
  حيران لا ظفر ولا إخفاق
- وكان ابن تيمية إذا صعبت عليه مسألة استغفر الله ألف مرة، وقال تلاميذ الخطيب البغدادي له -وهم في سفر- حدِّثنا، فقال: نبدأ بالقرآن، فختمه كلَّه ثم حدثهم.
- وقيل لأبي الطاهر السلفي: من أين لك هذا العلم؟ قال: من جلوس في بيتي مع الكتب سبعين سنة.

obeikandl.com

- لا يصلح النفس ما دامت مدبرة
  إلا التنقل من حال إلى حال
- عليك بالمشي والرياضة والنظافة، فإن الناجحين أقوياء أصحاء.
- بارك الله لأمتي في بكورها، فإذا أردت عملاً فعليك بالصباح فإنه أسعد الأوقات.
- لا تقف، فإن الملائكة تكتب، والعمر ينصرم، والموت قادم، وكل نَفَسٍ يخرج لن يعود.
- مَنْ زرعَ (سوفَ) أنبتتْ له (لعل)، وأطلعت (بعسى) وأثمرت (بليت) لها طعم الندامة ومذاق الحسرة.
- إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، واحذر البغتة، وإياك والتأجيل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.
- لا تقل قد ذهبت أربابه
  كل من سار على الدرب وصل
- الإبداع أن تجيد في تخصصك وما يناسب مواهبك، فقد علم كل أناس مشربهم، ولكلٍّ وجهة هو موليها.
- لا يضير الناجحين كلام الساقطين، فإنه علو ورفعة، كما قال أبو تمام:

  وإذا أراد الله نشر فضيلة
  طويت أتاح لها لسان حسود

- النقد الظالم قوة للناجح، ودعاية مجانية وإعلان محترم له وتنويه بفضله:

  وإذا أتتك مذمتي من ناقص
  فهي الشهادة لي بأني كاملُ

- الناجح يقوم بمشاريع يعجز عنها الخيال، وتبهر عظماء الرجال، وتثير الدهشة والغرابة والتعجب من عظمتها.
- الناجح لا يعيش على هامش الأحداث، ولا يكون صفراً بلا قيمة، ولا زيادة في حاشية.
- مَنْ كانت همته في شهواته وطلب ملذاته كثر سقطه، وبان خلله، وظهر عيبه وعواره.
- من خدم المحابر خدمته المنابر، ومن أدمن النظر في الدفاتر احترمته الأكابر.
- من خلق الناجح التفاؤل وعدم اليأس، والقدرة على تلافي الأخطاء، والخروج من الأزمات، وتحويل الخسائر إلى أرباح.
- القطرة مع القطرة نهر، والدرهم مع الدرهم مال، والورقة مع الورقة كتاب، والسَّاعة مع السَّاعة عمر.
- أمس مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد، فاغتنم لحظتك الراهنة فإنها غنيمة باردة.
- المؤمن لا يخلو من عقل يفكر، ونظر يعبّر، ولسان يذكر، وقلب يشكر، وجد على العمل يصبر.
- في الدقيقة الواحدة تسبح مائة تسبيحة، وتقرأ صفحة من المصحف، وتطالع ثلاث صفحات من كتاب، وتكتب رسالة، وتتلو سورة الإخلاص ثلاثاً.
- كرر النيسابوري صحيح مسلم مائة مرة، وأعاد ابن سيناء كتاب الفارابي أربعين مرة، وقرأ بعضهم المغني عشر مرات.
- احترقت كتب ابن حزم كلُّها فأعادها من حفظه، وكان قتادة يحفظ حمل بعير، وقال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء إلا حفظتها.

obeikandi.com

- وقام سفيان الثوري ليلة كاملة يصلي حتى أصبح، وتذاكر ابن المبارك الحديث هو وأحد العلماء وقوفاً حتى الفجر، وبقي محمد الأمين الشنقيطي يبحث مسألة يوماً وليلة.
- وكتب يحيى بن معين لفظ ﷺ ألف ألف مرة، وكان ربما كتب الحديث خمسين مرة، وقال الشعبي: أقل ما أحفظ الشعر، ولئن شئتم لأنشدتكم شهراً كاملاً.
- الناجح يحترمه أطفال مدينته، والفاشل يسخر منه كل أحد حتى لو اعتذر لهم ألف مرة.
- مَنْ بكَّر في طلب العلم بكور الغراب، وصبر صبر الحمار، وعزم عزمة الليث، واختلس الفرص اختلاس الذئب حصَّل علماً كثيراً.
- الكسلان محروم، والعاطل نادم، ومع الحركة البركة، ومن صال وجال غلب الرجال.
- الطريق شاق، ناح فيه نوح، وذبح فيه يحيى، وقتل فيه عمر، وأهريق فيه دم عثمان، واغتيل علي، وجلدت فيه ظهور الأئمة.
- نسخ ابن دريد كتاب الجمهرة أربع مرات، ونقح البخاري صحيحه ست عشرة سنة يغتسل عند كل حديث ويصلي ركعتين.
- أجَّر أحمد بن حنبل نفسه في طلب العلم، وباع أبو حنيفة بعض سعف بيته في العلم، وجاع سفيان ثلاثة أيام في طلب الحديث.
- كان النووي يطالع ويكتب، ويحفظ ويصلي ويسبح، فإذا نعس نام قليلاً وهو جالس، وكان للشوكاني اثنا عشر درساً في اليوم، وكان ابن سيناء يكتب في اليوم خمساً وعشرين صفحة.
- كان إدريس النبي خياطاً، وداود حداداً، وأجَّر موسى نفسه في الرعي، وكان ابن المسيب يبيع الزيت وأبو حنيفة يبيع البز.

obeikandl.com

- البدار البدار، قبل تقضى الأعمار وكتابة الآثار، فلا بقاء مع الليل والنهار.
- أعوذ بالله من خسة الهمم، وتفاهة العزائم، وسخف المقاصد، وثخانة الطبع، وبلادة النفوس.
- بحث علي عن الشهادة في بدر، فقالوا: في أحد، فهبَّ إلى هناك، فقال: ربما كانت في الخندق، فسعى إليها، قالوا: التمسها في خيبر، فلما أتاها، قالوا: تأخر الموعد. قال: ما أحسن القتل في المسجد.
- يحفظ العلم بالعمل به وتعليمه والتأليف فيه، ومن حفظه وكرره وذاكره به ودرسه ثبت في صدره.
- لابد للناجح من أن يكون قوي الملاحظة، دائم التركيز، حافظاً للوقت، مديماً للتدبر، طموحاً إلى المعالي.
- قال ابن عباس: ذللت طالباً، فعززت مطلوباً، وقال عمر: تفقهوا قبل أن تسودوا، وقال مجاهد: لا يطلب العلم مستح ولا مستكبر.
- مثبطات النجاح: هوى متبع، ونفس أمارة، ودنيا مؤثرة، وهمة باردة، وطول أمل مع تسويف.
- الناجح يأنف من الرزايا، ولا يتحمل المنن، ووقت الراحة له عمل، ووقت العمل راحة.
- الفراغ مفسدة، والمباحات مشغلة، وأكثر الناس مثبطون، والولد مجبنة محزنة مبخلة.
- سبعون سنة قضاها الإمام أحمد يتقوَّت من أجرة دكان، وسبعون سنة قضاها الخليل بن أحمد على الخبز والزيت، وسبعون سنة قضاها سفيان الثوري على خبز الشعير.
- الناجح يرضى عنه ربه بالإيمان، وأهله بالألفة، والناس بالأخلاق، والمجتمع بالنفع.

obeikandi.com

- تولى أبو بكر سنتين فأقام الخلافة وهزم المرتدين، وتولى عمر بن عبدالعزيز سنتين فنشر العدل وأزال المظالم وجدد الدين، وتعلم ابن أبي جعد العلم سنتين فصار مفتي المدينة.
- سجن السرخسي فألف المبسوط في ثلاثين مجلداً، وأقعد بن الأثير فصنَّف جامع الأصول والنهاية ثلاثين مجلداً، وسجن ابن تيمية فأخرج الفتاوى ثلاثين مجلداً.
- كان ابن الجوزي يكتب خواطره، وكان كِتابُ الفتح بن خاقان في جيبه ليقرأ كل وقت، وكان الخطيب البغدادي يطالع وهو يمشي.
- قال عمر بن عبدالعزيز: إن لي نفساً تواقة؛ تاقت للإمارة فتوليتها، ثم تاقت إلى الخلافة فتوليتها، وهي الآن تتوق للجنة.
- كان أبو منصور الثعالبي يخيط جلود الثعالب فترقَّت به همته إلى أن صار أديب الدنيا، وكان الفرَّاء يشتغل بالفراء ثم صار نابغة النحو، وابن الزيات كان يبيع الزيت ثم تولى الوزارة.
- وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام
- همة تنطح الثريا وعزم
نبويٌّ يزعزع الأجبالاً
- لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتَّالُ
- همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفراً
- تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من إبر النحل

obeikandi.com

- إذا غـــامـــرت في شـــرف مـــرومٍ
فـــلا تـقـنـع بمـا دون الـنـجـــوم
- ولم أر في عـــيـــوب الناس عـــيـــبـــاً
كـنـقـص الـقـــادرين عـلـى الـتـــمـــامِ
- ومـن تكن العليـــاءُ هـمـــة نفـــســـه
فكل الذي يلقـــاه فـــيـــهـــا مـــحـــبـب
- لأســـتـــســـهلن الصـــعب أو أدرك المنى
فـــمـــا انقـــادت الآمـــال إلا لـصـــابر
- مـن يـهـن يســـهـل الـهـــوان عـلـيـــه
مـــا لجـــرح بمـيـت إيـــلام
- لـولا لـطـائف صـنـع الـلـه مـــا نـبـــتـت
تـلـك المـكـارم فـي لحـم ولا عـــصـبِ

opelkandl.com

الفصل الثاني

همة تنطح الثريا

قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، وقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله»، وقال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ»، وقال: «اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك».

وقال لأحد أصحابه: «أعني على نفسك بكثرة السجود»، وقال لآخر: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»، وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، وقام من الليل حتى تفطرت قدماه، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وربما صلى أكثر الليل، وصبر على الإيذاء والسب والشتم والطرد من الأوطان والجراح في المعركة والجوع، وجاهد أعداء الله من مشركين ويهود ونصارى ومنافقين، وكان أعظم الناس جهاداً وأحسنهم خلقاً، وأجلهم إيماناً، وأسدهم رأياً، وأنبلهم كرماً، وأكرمهم نفساً، وأطيبهم عشرة، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً، وأكبرهم همة، وأمضاهم عزيمة، وأكثرهم صبراً ﷺ.

وصبر معه أصحابه أجلَّ الصبر، وجاهدوا أحسن الجهاد؛ فوقفوا مواقف تشيب لها الرؤوس، فضحَّوا بأموالهم وأنفسهم، وقدَّموا الغالي والرخيص في سبيل الله، ولقوا الألاقي في مرضاته، فنُكِّل بهم من أعدائهم، فمنهم من قتل، ومنهم من

جرح، ومنهم من قطعت أعضاؤه ومزقت أطرافه، وأكلوا من الجوع ورق الشجر، وسحب بعضهم على الرمضاء، وحبس البعض، هذا وهم صامدون مجاهدون، يستعذبون من أجل دينهم العذاب، ويستسهلون الصعاب، ويتجرعون الغصص.

فهذا أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق ماله كله في سبيل الله، ويهب عمره كله لمرضاة الله، فهو المصلي الصائم المنفق المجاهد المضياف الجواد البار الصادق الذاكر العابد القانت الأواب، حتى إنه ليُدعى من أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة لكثرة فضائله وإحسانه، وهو رفيق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة، وصاحبه في الغار، ما تخلف عن غزوة ولا تأخر عن معركة، بل هو السبَّاق الأول إلى الإسلام والهجرة والجهاد والبر والتقوى، وما استحق كلمة الصديق ولا تاج القبول ولا وسام البر إلا بعد جهاد عظيم وخلق مستقيم وفضل عميم.

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلغ الغاية في الزهد والورع مع ما سبق له من المقامات الجليلة في الإيمان والتضحية والهجرة والجهاد والإنفاق مع خشية لربه، ومراقبة لمولاه، وعدل في رعيته، وضبط لشؤون المسلمين، وإتقان لعمله في الخلافة مع الصدِّيق في السرِّ والعلن، والإنصاف في الغضب والرضى، مع ما كان عليه من الفقه في الدين والاجتهاد في معرفة الوحي واستنباط الحكم من النصوص.

وهذا عثمان بن عفان ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سارع إلى الاستجابة لله ولرسوله، فأسلم قديماً، ولزم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع العسر واليسر، فصدق مع الله في جهاده وهجرته وإنفاقه، فجهَّز جيش العسرة، واشترى بئر رومة وأوقفها على المسلمين، ومهر في القرآن وجوَّده حتى كان يتهجد به أكثر الليل، مع الحياء من الله والسعي في مرضاته، مع صدق اللهجة وكرم النفس، وطهر الضمير وحمد السيرة.

وهذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين أبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان سيد الشجعان، ورائد الفرسان، حضر المعارك، وجالد بسيفه، وقتل الأقران، فكان ميمون النقيبة،

مبارك السيرة، طيب السريرة، مع ما كان عليه من علم غزير، وفهم ثاقب، وفصاحة مشرقة، وشجاعة متناهية، وزهد عظيم، وإقدام وتضحية، وهمة ومضاء، وعزيمة وإباء؛ حتى استحق هذه المنزلة بجدارة، وتأهل للمجد بحق.

وهذا أبي بن كعب سيد القراء، جمع القرآن وأتقنه وحفظه، وضبط فعلم، وعلم وصدق ونصح حتى صار آية في هذا الفن، ومرجعاً في هذا الباب.

وهذا الزبير بن العوام أحد العشرة، أصيب في كل شبر من جسمه في سبيل الله، فكان حواري رسول الله ﷺ ورفيقه في الجنة.

وسعد بن أبي وقاص أحد العشرة وخال الرسول ﷺ، صدق الله فكان مجاب الدعوة، ثابت القلب، فنصره الله على أهل فارس، ورفع به رأس كل مسلم، وكبت به أعداء الله، فكان الأسد في براثنه.

وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة، تصدق بقافلة في سبيل الله بجمالها وحمولتها طلباً لمرضاة الله، وأنفق في كل عمل راشد مبرور.

وهذا ابن عباس حبر الأمة، وبحر الشريعة، وترجمان القرآن، جدَّ في طلب العلم، وحرص عليه غاية الحرص، وبلغ النهاية في فهم الوحي، وتصدر لتعليم الناس، فكان عجباً في حفظه وفهمه وبيانه وكرمه وسخائه، حتى صار إماماً للناس لما صبر وجاهد وعلَّم وتعلَّم.

وهذا معاذ بن جبل إمام العلماء، طلب العلم من معلم الخير ﷺ، وعمل بما علَّمه الله، فكان مثل العالم العامل المنيب المخبت الزاهد العابد، ودعا إلى الله وعلم عباده، وجاهد في سبيله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، مع فقه عميق، وخلق كريم، ورفق بالناس، وسخاء بذات يده.

وأبوهريرة سيد الحفاظ، جمع الحديث حفظاً وبلَّغه الأمة صدقاً، فكان الحافظ الأمين حقاً، قسَّم ليله للعبادة وتذكُّرِ الحديث والنوم، واشتغل بتعليم الناس مع الفتيا والوعظ والجهاد والتعليم، وما ذاك إلا لسموِّ همته، ومضاء عزيمته، وقوة نفسه.

وهذا خالد بن الوليد سيف الله المسلول، كتب اسمه في سجل الخالدين بحروف من النور، وخلد ذكره في ديوان الفاتحين بأسطر من ضياء، نصر الإسلام بسيفه، وخاض غمار المعارك يعرض نفسه للأخطار، ويقدم روحه في راحته مستهيناً بالمصاعب حتى صار مضرب المثل في الفداء والتضحية وسمو القدر وجلالة المنزلة وارتفاع المحل.

وسعيد بن المسيب سيد التابعين، ما فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام ستين سنة، وكان يمضي ثلاثة أيام مسافراً في طلب الحديث الواحد، وغالب جلوسه في المسجد، وكان مرجع الناس في الفتيا وتعبير الرؤيا، مع قيام الليل، والقوة في ذات الله، والغيرة على محارم الله، والصدق والزهد والإنابة والسخاء، والهيبة والعلم الراسخ.

وعطاء بن أبي رباح المولى الأسود، رفعه الله بالعلم، مكث في الحرم ثلاثين سنة يطلب العلم، ثم صار مفتي الناس، مع تقشفه وإخلاصه وورعه، وتبحره وإتقانه في الرواية، وفقهه في الدراية، فصار إماماً للناس.

والحسن البصري المولى، جاهد في طلب العلم ومعرفة السنة، والصبر على الاشتغال بالأثر، مع ما رُزِقَه من فصاحة ورجاحة وملاحة، فصار كلامه دواء للقلوب، ووعظه حياة للنفوس، وهو في ذلك واحد الناس زهداً وتواضعاً وإنابة وخشية وورعاً واستقامة، حتى رفعه الله في المحل الأسمى، وبوّأه المكان الأعلى.

والزهري محمد بن شهاب حافظ السنَّة، وإمام الناس في الحديث، طلب العلم مع الفقر والحاجة، وصبر وثابر وارتحل إلى العلماء، واعتنى بالحديث فصار أحفظ أهل زمانه، مع فقه ودراية وسخاء حاتمي وكرم سارت به الركبان، فاستحق أن يكون اسمه في دواوين السنة مرقوماً، وفي القلوب منقوشاً.

وعامر الشعبي، الإمام الجامع للعلوم، كان قديم السلم، وافر الحلم، كثير العلم، تبحر في السنة، وبرع في الأدب، مع ذهن وقّاد، وقلب ذكي، وفهم ثاقب، حتى صار رسول الخليفة عبدالملك إلى ملك الروم لعلمه وفهمه وبديهته وفصاحته ونبله وقوة شخصيته، وهو الذي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء وما استودعت قلبي شيئاً فخانني، أي ما نسي علماً، ويقول: لو أنشدتكم شهراً كاملاً شعراً ما أعدت بيتاً من غزارة حفظه.

وأبوحنيفة الفقيه الكبير، اجتهد في طلب العلم، ورزقه الله فهماً وذهناً خصباً، حتى صار الناس في الفقه عيالاً عليه، فقعد واستنبط، وصدف عن الدنيا، وأعرض عن المناصب، وفَرِقَ من القضاء، واكتفى ببيع البز، مع عبادة وزهد وخشوع وصدق وذكاء منقطع النظير.

ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، صاحب الموطأ الذي فاق الناس عقلاً، وأنفق عمره في طلب الحديث حتى شهد له سبعون عالماً أنه أهل للفتيا، فصارت تضرب إليه أكباد الإبل، وتشد إليه الرحال، حباه الله بجلالة ووقار مع حسن سمت وجمال مظهر وسلامة مخبر.

والشافعي إمام الآفاق الذي قعَّد القواعد، وأصَّل الأصول، سخَّر جسمه ووقته في طلب العلم، فحلَّ وارتحل، وجال وصال حتى ضرب بعلمه الأمثال، وصار كالشمس للبلدان، والعافية للأبدان، مع صبره وشكره وزهده وأدبه وفصاحته ونبوغه، وعلو همته ورجاحة عقله وسعة معارفه.

وأحمد بن حنبل إمام السنة، وقامع البدعة، وبطل المحنة، طاف الأقطار، وقطع القفار في جمع الآثار، مع الجوع الشديد، والتعب المضني، والفقر المدقع، والزهد الظاهر، ثم ابتلاه الله بالمحنة، فحبس وجلد فما أجاب، فرفعه الله لعلمه وصبره وصدقه، حتى أصبح ذكره في الخالدين، وصار إماماً للناس أجمعين.

وعمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد العابد المجاهد، مجدد القرن الأول، عزف عن الدنيا وأعرض عن الشهوات، وأقبل على العلم والعبادة والزهد والعدل، فأقام

الله به السنة، وقمع به البدعة، وأنار به طريق الإصلاح وجدّد به معالم الفلاح، فهو إمام هدى، وعالم ملَّة، ورباني أمة.

وسفيان الثوري زاهد زمانه وعالم دهره، زهد في الفاني وأقبل على الباقي، وحفظ الحديث، وجوَّد الزاد، وأفتى وعلَّم وأمر ونهى ووعظ، ونصح بنية صادقة وعزيمة ماضية، وهو مع ذلك يحفظ أنفاسه ويربي جلاسه حتى أتاه اليقين.

وعبدالله بن المبارك الذي جمع الله له المحاسن، فهو العالم العامل الزاهد العابد المجاهد المحدث الحافظ الغني المنفق الأديب الفصيح، سليم الصدر، طيب الذكر، عظيم القدر، منشرح الصدر، دأب في الخير وصبر على التحصيل، وداوم على الفضائل، حتى جعل الله له من القبول ما يفوق الوصف.

والإمام البخاري صاحب الصحيح، فتح الله عليه في العلم، فوصل الليل بالنهار في طلب الآثار حتى صار إمام الأقطار، فضرب بحفظه المثل، مع المعرفة التامة والفهم الدقيق، يزين ذلك خلق كريم وزهد مستقيم، ثم ترك ميراثاً مباركاً في العلم في كتابه الصحيح الذي هو أجل كتاب بعد القرآن، فجزاه الله عن الأمة أفضل الجزاء، وأنزله الفردوس الأعلى.

وقس على هذا الإمام مسلم صاحب الصحيح ومصنفي الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم من المحدثين الأخيار أهل الهمم الكبار.

وانظر لسيبويه إمام النحو الذي طاف البوادي وشافه العلماء، ثم ألَّف كتابه المسمى بالكتاب، فصار أعظم كتاب في النحو، وصار مَنْ بعده من النحاة عالة عليه، فاستحق الثناء، واستوجب الشكر، ونزل منزلة سامية عند أهل الإسلام، لفرط ذكائه وبراعته، ومئات النحاة تزينت بهم الكتب وأشرقت بهم المجالس، ولولا الإطالة لأشرت لكل واحد منهم، وإنما اكتفي بالأعيان ومن له ذكر وأثر وتفرد وتميّز.

وهذا محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير، جمع الفنون وصنف التصانيف، وحاز قصب السبق في تفسير كتاب الله حتى صار شيخ المفسرين،

وصار كتابه أعظم كتاب في هذا الفن، فتداوله الملوك، وتباشرت به الأقطار، ونهلت من فيضه الأجيال، فهو مرجع كل مفسر، ومعتمد كل عالم لكتاب اللّٰه تعالى.

وهذا ابن حبان صاحب الصحيح، المحدث الأعجوبة الذكي العبقري اللوذعي، طاف البلدان، وهجر الأوطان، وبرع في هذا الشأن؛ حتى روى عن ألفين من الشيوخ؛ ومن شاء فلينظر إلى كتابه الصحيح وكتبه الأخرى، فإن فيها من التبحر والدقة والبراعة ما يفوق الوصف.

ومن الأئمة الكبار أبوإسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي صاحب المؤلفات الذائعة الشائعة الماتعة النافعة، كان يكرر درسه مائة مرة، ويعيد القياس ألف مرة، حتى نحل جسمه من علوِّ همته، وقوة عزيمته، وفيه يقول الشاعر:

تراه من الذكاء نحيل جسم
عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي
فليس يضيره الجسم النحيل

ومن الفلاسفة الأذكياء وأهل المنطق والأطباء ابن سيناء الرئيس، فإنه برع في فنونه، وسهر الليالي في مذهبه، وجدَّ وحصّل وثابر وواصل حتى صار يضرب بهمته المثل، وكان يكتب كل يوم كراسة، وصار أعجوبة الأعاجيب في تخصصه، وأحد أذكياء العالم على فسادٍ في مذهبه.

والفارابي الفيلسوف كان بزي جندي، انصب وانكب على كتب اليونان حتى رسخ فيها، وأدمن النظر في ضوابطها حتى أتقنها، وصار من أكبر الفلاسفة لصبره وهمته وجلده فيما توجه له من مذهب.

والرازي الفخر صاحب التفسير جمع فأوعى، وصنف وألف، ودرَّس ووعظ، وخطب وكتب، وصار عين زمانه، وقريع دهره في بهجة مع الأبهة والفخامة الدنيوية والثراء الفاحش واللّٰه الموعد.

ومن العلماء الربانيين الإمام النووي مات في سن الأربعين، لكنه ترك علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وحسبك برياض الصالحين، وهذا الإمام واصل ليله بالنهار، وصام وقام، وسطع ولمع، وجمع في العلم، وهجر الكرى، وجد في السرى حتى اعتزل الزواج ليتفرغ للعلم، فأتى فيه بالعجب العجاب.

وشيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيمية سيد العلماء، وكبير الفقهاء، جد في الطلب، فحاز الرتب، حقق ودقق ووثق، ودرَّس وخطب وأفلح حتى صار مجدد قرنه، ومصلح زمانه، وترك من التأليف ما يفوق الوصف براعة وحسناً وأصالة وعمقاً، فهو حقيقة مضرب المثل للعالم الرباني، العامل بعلمه زهداً وخشية وإنابة وجهاداً وصدقاً وتواضعاً وكرماً وشجاعة وإمامة، وما حصل على هذا الفضل بعد فتح الله وكرمه إلا بصبر وجلد، وسهر وتعب، ومشقة ونصب؛ لأنه كان ذا همة عارمة لا تقبل الأدنى، وعزيمة صارمة لا ترضى بالدون؛ فبز علماء عصره، وصار المرجعية الكبرى للفتيا، فهو قصة سارت بها الركبان، وأعجوبة قلَّ أن يرى مثلها الزمان.

وتلميذه ابن القيم صاحب التصنيف المبارك البديع، الذي استفاد منه الموافق والمخالف، مع حسن لفظ، وبراعة إنشاء وقوة حجة، وصحة برهان، ورسوخ علم، وعمق فهم، وكان هو في نفسه ذاكراً شاكراً صابراً صوّاماً قواماً عابداً زاهداً.

وابن رجب الحافظ المجتهد، كتبه خير شاهد على علمه وفهمه وتبحره، وله جهد مبارك مشكور في شرح الأحاديث وإخراج كنوز الآثار، بل لا أعلم عالماً له من البراعة في الشرح مثل ما لهذا العالم الكبير.

ومنهم حافظ الدنيا في زمانه ابن حجر، صاحب فتح الباري الذي شرح فيه صحيح البخاري، فقد دبجَّه في خمس وعشرين سنة، وصنفَّ المقدمة في سبع سنوات، فأتى بما يذهل العقول ويدهش الألباب، مع عشرات من المجلدات غير ذلك، وكان دائم التحصيل والتأليف والتدريس، لا يكل ولا يمل ولا يفتر، حتى أصبح خاتمة الحفاظ، وسيد الجهابذة، وشيخ المحدثين، ومن شاء أن يعرف هذا الرجل فلينظر في الفتح، فلا هجرة بعد الفتح.

ومنهم السيوطي جامع الفنون، وحائز قصب السبق في التأليف والتصنيف، وقد اعتزل في الأربعين، وترك تراثاً ضخماً من المؤلفات النافعة الذائعة.

وقبلهم ابن الجوزي واعظ الدنيا، أكبر مؤلف في كثرة ما ألف، فقد ألف قرابة ألف مصنف، ما بين كتاب ورسالة، وشغل وقته بطلب العلم والحفظ والتفقه والتصنيف والتدريس والوعظ، حتى أصبح حديث الركب، وقصة الزمن، وأعجوبة الدهر فصاحة ونباهة وعلوّاً.

ومن أهل الهمم القوية والعزائم المرضية السلطان نور الدين محمود زنكي، الإمام العادل الخاشع العابد الزاهد المجاهد الصوّام القوام الذاكر الشاكر الصابر الفريد، صاحب الرأي السديد، والنهج الرشيد، عدل في الرعية، وحكم بالسوية، وهجر الدنيا الدنية، ورزقه الله الشهادة بعد عمر حافل بالصالحات والخيرات.

ومنهم صلاح الدين الأيوبي فاتح القدس، وهازم الصليب، وناصر الملة، ومقيم العدل، مع تقوى وديانة وخشية وأمانة، رفعه الله بالإخلاص، ونصره بالصدق، وفتح عليه في الجهاد، دوَّخ الأعداء، ونشر الملة السمحاء، وجد في طلب العليا بهمة علياء.

ومثلهم مضى القادة من الفاتحين الذي صدقوا ما عاهدوا الله عليه بجمعهم الهمة والصبر، مع صدق العزيمة وقوة الإرادة، وسمو القدر.

ومنهم مجدد الإسلام في هذا الزمان الإمام محمد بن عبدالوهاب، الذي جدد الله به دينه، ونصر به شرعه، وأعلى به كلمته، وهو الذي دعا إلى التوحيد، وهدم الأوثان، وأزال الشركيات، وصحح المعتقد، وجاهد في الله حق جهاده بعزم أمضى من السيف، وهمة أقوى من الدهر، وصبر عظيم، وإخلاص وتضحية، حتى رفع الله محله، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وكبت أعداءه، فاستحق كلمة الثناء، ومنزلة الإمامة، ورتبة الربانية.

وممن عاصرنا ورأينا وجالسنا وعرفنا سماحة الإمام العالم العامل الشيخ عبدالعزيز بن باز جامع الميمات الثلاث؛ ميم العلم، وميم الحلم، وميم الكرم، وكان

إماماً في السنة على هدي السلف، محدثاً فقيهاً عالماً مربياً رفيقاً بالناس رحيماً متواضعاً صبوراً، يقوم بأعمال يعجز عنها نفر من الرجال، فكان يعلِّم ويفتي ويراجع الكتب ويرسل الرسائل للآفاق، ويشفع ويضيف وينصح ويعظ ويحاضر ويحضر المؤتمرات، مع زهد وخلق وسماحة وذكر وتهجد وصدقات، وإصلاح بين الناس، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصبر على أذى وشفقة على المساكين، ورحمة بالفقراء، وحب لطلبة العلم.

ولا ننس الإمام الفقيه العلامة الزاهد محمد بن عثيمين، كان فقيهاً ذكياً ألمعياً عالماً، علَّم وأفتى ودرَّس بصبر وحكمة ورفق، وأتقن عدة فنون شرعية، وواصل التعليم والإفتاء حتى طبق اسمه الآفاق، مع صدوف عن المناصب وزهد في المراتب، وإعراض عن الدنيا، وترك طلاباً نجباء، وكتباً هي قرة عيون العلماء، صحة في المعتقد، وقوة في الحجة، وجمالاً في الأسلوب.

وكذلك محدث العصر وعلامة السنة في زمانه، الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني، صاحب المصنفات المشهورة، والرسائل النافعة، قضى عمره كله ليله ونهاره في خدمة السنة تصحيحاً وتضعيفاً وجرحاً وتعديلاً، وكان على هدي السلف، مع اهتمام بشؤون المسلمين وقضاياهم في مشارق الأرض ومغاربها.

ومحمد الأمين الشنقيطي، الإمام الحافظ الأصولي المفسر النظار اللغوي، حافظ وقته، وكان يلقي الدرس ارتجالاً فيأتي بالعجب العجاب، لجودة ذهنه وصفاء خاطره وقوة حفظه، حتى انبهر منه العلماء وصار مضرب المثل للأذكياء.

obeikandl.com

الفصل الثالث

اعـرف نفســـك

ومـعنى ذلك أن تتـعـرف على مـواهبك التي منحك الله، فـتوظفـهـا في بابهـا، ســـواء علماً أو عـملاً أو مهنة، فـإن لكلٍ مذهبـاً ومشـرباً صنوان وغيـر صـنوان، وقـد علم كل أناس مشـربهم، ولكل وجـهـة هو مـوليـهـا، والناس أجناس، فـحق على العـاقل أن يمهـر فيـمـا يجيـد، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ له، ومن يلاحظ حياة أصحـاب الرسول ﷺ يجد أن كلَّ واحد منهم أجاد في بابه، فأبو بكر ضرب في كل غنيمة بسهم ولكنه برز في الخلافة والقيادة مع العدل والزهد والإخلاص والصدق.

وعـمـر قوي في ذات الله، شديد على أعدائه، عادل في حكمه، وعثمـان رحيم شفوق ذو تهجد وصدقات وبر وحياء ورقَّة، وعلي شجاع صارم خطيب نجيب فقيه.

وأُبيٌّ سيد القـراء، ومعاذ إمام العلمـاء، وخالـد رمز الأبطال وابن عبـاس ترجمـان القـرآن، وحسـان مـقدم الشعـراء، وزيد بن ثابت كبيـر علمـاء الفـرائض، وأبو هريرة شيخ الرواة وهكذا.

فاكتسب معارفك بنفسك بمهارتك وتجاربك ومزاولتك للأعمال ومباشرتك للحياة.

إن الكتب تلقِّن الحكمـة لكنهـا لا تخـرّج الحكمـاء، وإن الذين امـتـازوا في العلوم والفنون لم يتعلموا في المدارس فحسب بل تعلموا في مدرسة الحياة ومصنع التجار.

إن كـتـاباً في فن السـبـاحـة يعطي مفـاتيحَ في هـذا البـاب لكن لا يمنع الجـاهل بالسباحة من الغرق، لكن أفضل طريقة له أن يهبط إلى النهر ليتعلم فيه مباشراً.

ومثله الخطيب البارع فإنه لم يمهر ويتميز لأنه قرأ مجلدات في فن الخطابة، بل لأنه صعـد المنابر وأخطأ وأصـاب، وفشـل ونجح، وجـرب وتدرب حتى بلغ الغـاية في هذه الموهبة.

فإذا أردت البراعة في أي علم أو عمل أو موهبة فاغمس نفسك فيه، وانصهر في معاناته، واحترق بحبه والشغف به إلى درجة العشق، وللناس فيما يعشقون مذاهب، وكما قال الشاعر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل

فلا تظن أن النجاح سوف يقدم لك هبة على طبق من ذهب، وإن أقبح نصر هو ما كان عن هبة:

وأقبح النصر نصر الأغبياء بلا

فهم سوى فهم كم باعوا وكم كسبوا

لكن النجاح الغالي هو ما حصل بجهد وعرق ومشقة ودموع ودماء وسهر وتعب ونصب وتضحية وفداء، وكما قال أبو الطيب:

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتّال

إن الناس لا يرحمون الفاشل، وإن الساقط مغضوب عليه، وكما قيل: إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه؛ لأن الناس لا يحترمون إلا كل ناجح متفوق، فتراهم ينظرون إليك خاشعة أبصارهم، إذا كنت عالماً أو نابهاً أو غنياً أو مرموقاً أو مصلحاً، أما البليد الغبي الفاشل الساقط فلا تلمحه العيون؛ لأنها لا تراه أصلاً:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرحٍ بميت إيلام

فعليك بطريق التعب والمشقة حتى تصل ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ وإياك ثم إياك والكسل والتواني والتسويف والأماني فإنها رؤوس أموال المفاليس ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.

إن الله يحب المجاهدين ويكره العجزة الفاشلين، وإن ألذَّ خبز هو ما حصل بعد عرق الجبين، وإن أهنأ نوم ما كان بعد تعب، وإن أحسن شبع ما سبقه جوع، وإن الورد لا يفوح حتى يعرَّق، وإن العود لا يزكو حتى يحترق:

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف نفح طيب العود

إن الماء الراكد يأسن ويتغير طعمه، لكن إذا جرى وسرى طاب وعذب، وإن الكلب الجاهل حرام صيده، لكن صيد الكلب المدرب حلال؛ لأنه أتى بعد جهد ودربة ومعرفة، يقول الشاعر:

تريدين إدراك المعالي رخيصة

ولابد دون الشهد من إبر النحلِ

فالبدار البدار قبل تقضي الأعمار، فلا راحة مع الليل والنهار:

ولا تقل الصبا فيه امتهال

وفكّر كم صبي قد دفنتا

الفصل الرابع

صفات طالب العلم الناجح

* همة لا تعرف النكوص، ورغبة ملحَّة، وشهوة عارمة في العلم، وحماس منقطع النظير، وحرص على الفائدة.
* معرفة ثمرة العلم الجليلة، وعاقبته المحمودة، ونتيجته الرائدة.
* التدرج في الطلب جملة جملة، وحديثاً حديثاً، وباباً باباً.
* البداية بالأهم فالمهم، وتقديم أصول المسائل قبل فروعها.
* اغتنام الحفظ وقت الصِّبا وأوائل الشباب.
* التخصص ومعرفة الفن المحبّذ والتركيز عليه لتظهر الموهبة.
* تنويع أساليب الطلب من التلقي على الأساتذة وقراءة الكتب وسماع الدروس والتأمل والمذاكرة.
* التكرار مع ضبط المعلومة، وتحقيق المسألة، والرسوخ العلمي.
* الاهتمام بالإبداع والابتكار، ونبذ التقليد والمحاكاة.
* التطواف في الفنون الأخرى لأخذ فكرة مع جرد المطولات والنظر فيما جَدّ به العصر.
* الاهتمام بالتصنيف في فنه وتعليمه ومراجعته كل وقت.
* العمل بالعلم الشرعي النافع، فإن هذا بيت القصيد ورأس المال.

obeikandl.com

الفصل الخامس

علامات العالم المتفوق

❖ العمل بما تعلم، وظهور بركة العلم عليه، وإخلاصه لربه سرّاً وعلانية.

❖ نفع الناس، والأثر الطيب فيمن حوله، ونشر علمه، وعدم كتمانه.

❖ الصبر على الأذى، وتحمل جفاء الناس، والتواضع لهم.

❖ الزهد في الدنيا، بطلب ما عند الله، والإعراض عن الفاني وطلب الباقي.

❖ حسن الخلق، وكرم السجايا، وسلامة الطبع من كل ما يشين.

❖ علو الهمة في التأليف، وتربية الجيل، والإصلاح.

❖ نبذ التقليد، والتعويل على الدليل كتاباً وسنة.

❖ الرسوخ العلمي بالغوص على الحقائق، ومعرفة المقاصد، والتفطن لأسرار الشريعة.

❖ الاجتهاد في طلب الحق، وبذل الجهد في معرفة الصحيح.

❖ اجتناب الشاذ من الأقوال، والغريب من المقال، والموضوع من الحديث، والكذب من المنقول.

❖ معرفة واقعه وعصره، وما يدور في محيطه ويعيش معه.

obeikandl.com

الفصل السادس

الداعية إلى الله وأوصافه الجميلة

* عنده عقل راجح، وعلم راسخ، وخشية متناهية؛ لأن السفيه أحمق، والجاهل أعمى، والفاجر مخذول.

* دائم الطلب للعلم، والحرص على الفائدة، والحفظ للوقت، والاهتمام بمعالي الأمور.

* يأمر الناس ويأتمر، وينهى الناس وينتهي، أول من يفعل ما يقول، قد ظهر قوله على فعله، وصلح ظاهره وباطنه.

* رفيق بالناس، ميسِّر لا معسِّر، مبشِّر لا منفِّر، متعرِّف إلى الناس بأخلاقه لا متنكِّر.

* لديه حكمة تلازمه عند كلامه وعند فعله، يتحرى الأصوب ويفعل الأصلح، ويهدي بإذن الله إلى الأقوم.

* متدرج في دعوته وإصلاحه، يورد العلم مسألة مسألة، ويعالج المشكلات قضية قضية.

* زاهد فيما عند الناس، راغب فيما عند الله، يعاف الثناء ويكره المديح، ويفر من العلو في الأرض، ولا يطلب إلا رضى الله.

* معتصم بالكتاب والسنة، بعيد عن البدع، سليم الصدر سهل الجانب، طلق المحيا، جم الحياء.

* لا يجرح الأشخاص، ولا يتهكم بالأجناس، ولا يستهزئ بالناس، عفيف اللسان، طاهر الجنان، طيب الأردان.

obeikandl.com

الفصل السابع

سمات المفتي الجليل وأخلاقه

★ محقق لما يقول، متحرٍ في جوابه، ورع في فتواه، خائف من مولاه.

★ همّهُ أن ينقذ نفسه قبل الناس، له نية في فتواه، وإخلاص لله، وصدق في ظاهره ونجواه.

★ صاحب دليل، معتصم ببرهان، متدرع بحجة، يفر من التقليد وطلب غرائب المسائل وشواذ الأقوال.

★ عالم بأحوال الناس وملابسات حياتهم وأمور معاشهم؛ لينزل الأقوال على الأحوال والفتيا على الواقع.

★ لا يربك السائل بكثرة الأقوال، وإنما يحقق له الجواب الصحيح حسب الإمكان.

★ متثبت من السؤال متمكن من الجواب، إذا لم يعلم قال: لا أدري؛ لأنها نصف العلم.

★ مطَّلع على أقوال العلماء بدليل كل عالم، مميز بين القوي والضعيف، والراجح والمرجوح.

★ مهتم بعلم الأثر والرواية تصحيحاً وتضعيفاً، دائم البحث والمذاكرة والاستفادة.

obeikandl.com

الفصل الثامن

المعلم الموفق ومزاياه الفاضلة

* قدوة في الخير لطلابه، وأسوة حسنة لتلاميذه، محبب إليهم، عزيز عليهم.
* محضِّر لمادته العلمية، حريص على نفع الطلاب والارتقاء بهم في سلم العلم والمعرفة.
* سليم من الجفاء والبذاء والغلظة والفظاظة، يألف طلابه ويألفونه.
* عاكف على تخصصه، متميز في فنه، ملمّ بأطراف موضوعه.
* كثير الاطلاع، موسوعي المعرفة، عارف بثقافات عصره وقضايا أمته.
* متوقد النفس بما يقول، ملهب لطلابه، متحمس في إلقائه وطرحه، بعيد عن البرود والجفاف.
* مواظب على دوامه، دقيق في مواعيده، منتظم في عمله.
* بعيد عن الشبه وكل ما يريب، هاجر كل خُلُق رذيل، متصف بكل وصف جميل.
* لا ينهمك في المزاح واللغو والسفه والفحش في القول، بل هو ليِّن القول، عذب الكلمة، طاهر اللسان.

obeikandl.com

الفصل التاسع

الإداري المتميّز وعلامات الإبداع

* دقيق في أموره، ضابط لإدارته، ملم بشؤون مرؤوسيه.
* نظامي يضع كل شيء موضعه، يربي بعمله أكثر من قوله.
* ينهي أعماله كل يوم بيومه، وليس لديه تسويف ولا اضطراب.
* يوزع المهمات على حسب التخصص والمواهب والإمكانات.
* جيد المتابعة، حازم في قراره، يشاور ويتأمل كثيراً.
* لطيف المعشر، سمح الخلق، قوي في غير ضعف، صارم في غير عنف.
* جم النشاط، حاضر البديهة، دائم الملاحظة، قوي التركيز يعجبه الإتقان والجودة.
* يستفيد من خبرات الآخرين وتجاربهم بالاطلاع والمجالسة، له في وقت عمله راحة وفي وقت راحته عمل.
* يحب التميز، ويعشق الإبداع، ويرتاح للتفرد، ويسعى للتفوق.
* يجتنب تكرار الخطأ، ويستفيد من الإخفاق، ويحذر العثرة، وهو متفائل لا يعرف اليأس والإحباط.

obeikandl.com

الفصل العاشر

خلال رائدة يتصف بها الواعظ المؤثر

❊ الإخلاص والتجرد، والحذر من الرياء والعجب والكبر.

❊ تقويم اللسان بالعربية، وكثرة الدربة على إلقاء الخطب والمواعظ.

❊ كثرة المحفوظ مما يعين على الوعظ من الكتاب والسنة والأدب والقصص والأمثال.

❊ اجتناب الإطالة والإملال توخياً لإقبال الناس.

❊ التوسط بين الرجاء والخوف لئلا يوقع الناس في الأمن من مكر الله أو اليأس من روح الله.

❊ اجتناب الشاذ من الأقوال والغرائب التي لا يؤديها نقل ولا يقبلها عقل.

❊ مراعاة أحوال الناس وعقولهم، وتخوُّلهم بالموعظة كراهية السآمة عليهم.

❊ عدم تجريح المخاطبين أو التعريض بهم أو الغلظة عليهم.

❊ الرفق بهم واللين في خطابهم واجتناب التشديد عليهم.

❊ الاهتمام بالإلقاء وحسن الأداء، وسلامة النطق وبراعة الاستهلال وحسن الاستدلال، وجمال الختام.

❊ ترك مدح النفس أو ذمها، وإيراد سير الصالحين مع مراعاة موافقتها للسنة.

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر

المؤلف البارع ما ينبغي له وما يلزمه

❁ عدم التأليف حتى يتمكن من فنه ويحرره ويغوص في أسراره.

❁ جمع المتفرق أو اختصار المطوَّل أو ترتيب المتفرع أو شرح الغامض وتحقيق المبهم، هذه مقاصد التأليف.

❁ التوسط في التأليف بين الإيجاز المخل والتطويل الممل.

❁ حسن العبارة، وسهولة اللفظ، والبعد عن التقعر والغريب، وكذلك هجر اللفظ المبتذل والعامي.

❁ مراجعة ما كتب، وعرضه على الأعلم، والمشاورة فيه وترديد النظر والإعادة والإبداء فيه.

❁ اختيار المسائل التي لم تبحث والناس بحاجة إليها.

❁ لا يكتب إلا في فنه، ولا يتعرض لما لم يحسن فإنها وصمة.

❁ تجريد تأليفه من الكذب والغريب والشاذ والسب والتجريح.

❁ عدم الانبهار بما يكتب أو الإعجاب بما يؤلف فإنه فتنة.

❁ نسبة الأقوال لأهلها، والحذر من السرقة والاختلاس ومسخ المؤلفات الأخرى ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر

الأبُ الأسوةُ وحليتُه وآدابُه

* التوجه إلى الله في كل وقت في صلاح الذرية وكذلك بإصلاح نفسه ودعاء ربه.

* أن يكون قدوة لأبنائه بالقول والفعل ليصدق فعله قوله.

* ملاعبة الصغير وتأديبه، وملاطفة الكبير وحسن صحبته.

* حسن الرعاية بتعظيم حق الله عز وجل، وتقديس الحرمات، وصيانة حدود الله في نفوسهم.

* الحذر من هجر بيته وطول غيبته لغير ضرورة، وتعاهد أهله بالجلوس والحديث والدرس والموعظة.

* حفظ أهله من وسائل الفتنة وأدوات الخراب واللهو وتطهير بيته من كل ما يشين.

* الرقابة على عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم في البيت والمدرسة ومع الناس باختيار الجلساء وحسن المتابعة.

* مراعاة سنهم في التوجيه بتبسيط الوعظ لهم والقصص وضرب الأمثال.

* الحذر من حياة الترف فإنها فساد، والإسراف فإنه فتنة، والغفلة فإنها موبقة.

* تحفيظهم كتاب الله في الصغر، ومنعهم من التشبه بالكفرة، ومحاكاة الفجرة، وتقليد النساء.

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

منظومة للناجحين

الحـــــمـــــد لـلـه الذي ربـانـي

وأزال عـن قـلـبـي الـعـــمـى وهـداني

وأغـاثـنـي كـرمـاً وثـبـت حـجـتـي

وأنـا رهـين الـذنـب والـنـقـــصـــانِ

ثـم الصـلاة مـع الســلام لأحـمـد

خـيـــر الـبـــرايا مـن بـنـي الإنســانِ

والآل والصـحـب الكـرام ومـن سـعـى

لسـبـيـله مـن تـابـعـي الإحـســانِ

هـذي قـصـيـدة كـل شـهـم ناجـح

ذي هـمـــة كـــالـكـوكـب الـنـورانـي

لأولـي الـعـزائـم صـغـتـهـا وحـبـكـتـهـا

تُهـدى لأهـل الـفـضـل مـن إخـوانـي

يـامـن أراد المجـــد مـن أطـرافـــه

وسـعـى إلـى الـفـردوس والـرضـوانِ

obeikandi.com

اسـمع هديت نصائحي واعـمل بهـا

واحــرص عليــهــا غــاية الإمكانِ

اسـمع للفظة ســابقــواً أو سـارعــواً

جــاءت بنص الوحي في القــرآنِ

ويقـول أحـمـد: بادروا بل فـاغـتنمْ

خـمــسـا رواهُ أحـمـد الشـيـبـاني

والمؤمن الشــهم القــوي أحبُ من

عــبــد ضـعـيف خـائر الأركـانِ

احــرص على النفع العظيم أتى به

ابنُ الحــــسين العــــالم الرباني

وتعــوّذ المخــتــارُ من كــسل ومن

عــجــز رواه عندنا الشــيــخــانِ

هذا رســـــول الله قـــــام لربه

فــتــفطرت لقــيــامــه القــدمــانِ

وهو الذي ضــحَّى بكل حــيــاته

مـن أجل ديـن الـواحـــــد الـديـانِ

بأبي وأمي خــيــر من وطئ الثـرى

وتهلَّلت لقـــدومـــه الثـــقـــلانِ

obeikandi.com

أثرُ الحصير بجنبه وقميصُه

صوفٌ وتحت حزامه حجرانِ

شتموه بل أدموه وهو مصابر

في همة ما كان بالمتوانِ

وضعوا السلى والشوك فوق جبينه

بل من أذاهم ضاق بالأوطانِ

وتراه في صبر وعزم راسخ

أقوى على الأبصار من ثهلانِ

حتى حباه الله أعظمَ نصرِهِ

فاق الخليقةَ إنسَهم والجانِ

واذكرْ أبا بكر وحسنَ جهادِهِ

وثباته في السر والإعلانِ

يدعى لأبواب الجنان جميعها

من كثرة الأفضال والإحسانِ

في الغار صاحبَهُ وفازَ بهجرة

حتى أتى في الوحي ذكر الثاني

وانظر إلى الفاروق واعرف قدره

في قوة الإخلاص والإيمانِ

ورسـوخـه في العلم بعـد جـهـاده

في كل مـــوقـــعـــة مع العـــدناني

وعـــزوفـــه عن كل مـــغـــربة ولو

جـــــاءت إليـــــه بزينـة الألـوانِ

وبكائه حـــــتى تبلل خـــــده

وصـــمـــوده في حـــومـــة الميـــدانِ

والثـالث البـــر الرشـيـد تحـيـتي

تســعى بما يشـفي إلى عـثـمـانِ

هو منفق الأمـوال سـاعـة عـسـرة

مـــتـــهـــجـــداً في الليل بالقـــرآنِ

ولبـئـر رومـة قـصـة مـحـفـوظة

وله ببنـتي أحـــــمـــــد نـورانِ

واذكـــر أبا حـــسن وبجِّل قـــدره

خـيـر الشـيـوخ وقـدوة الشـبـانِ

وهو الذي ذبح الطغـاة بسـيـفـه

في بدر والأحـــزاب يوم الشـــانِ

إذ بيـتـه كـوخ ومـفـرشـه الحـصى

مـــركـــوبه في عـــمـــره نعـــلانِ

obeikandl.com

وأُبيٌّ في حـــفظ المثـــاني آية

ومـــعـــاذ ذو عـــزم بغـــيـــر توانِ

وأبو هـريرة جـــد في طلب العلى

والجـوع يصـــرعـــه على الجـدرانِ

في الحـفظ أصـبح آية مـعلومـة

لا تعـــتـــريه بوادر النســـيـــانِ

أمـــا ابنُ عـبـــاسٍ فـــأخـبـــر أنه

بلغ المدى في الصـبـــر والإمـعـــانِ

بل كـان ينتظر الصـحابة في الضـحى

والشـــمس تصـــهـــره بحـــر دانِ

من أجل نيل العلم حـــتى حـــازه

لســـــفـــــينة الآثار كـــــالربانِ

حي العـبـــادلةَ الكرامَ وجـهـدَهم

في ضـــبط آثار وفـــهم قُـــرانِ

للعلم ســافــر جـابر من طيـبـة

شـهـراً لمصـرَ بهـمـة الشـجـعـانِ

وابن المسـيب للحـديث مـحـصلٌ

يبـــــقى ثـلاثاً ليس بـالـوسـنـانِ

obeikandl.com

ولمالك صـــبـــر الرجـــال لنيله

أعلى المراتب عند أهل الشـــانِ

ومشى ابن حنبل جامعاً لحديثه

حـتى أتى لإمـامـهـا الصنعـاني

جـذ الحـصـاد بأجـرة وتمزقت

بالمشي نعل الماجـد الشـيـبـاني

وطوى الإمـام الشـافـعي منازلاً

من أجل بعض مـسـائل النعـمـانِ

وتـألـق الثـــــوري في زهـد وفـي

ورع وفـي علم وفـي عـــــرفـــانِ

والأصمعي طوى القفار جميعها

لمراد آداب وحـــــسـن بيـــــانِ

وأقـام دهراً سـيـبـويه منقـحـاً

لعلومـه في الحـضـر والبـدوانِ

حـــتى روى ذاك الكتـــاب وإنه

أصل الأصـول لنحـو خـيـر لسـانِ

برع الكسـائي باجـتـهـاد دائم

هو واحـد القـراء للفـرقـانِ

obeikandi.com

وتفـــــرد الـزهـري بـالسـنن التـي

سـارت مـسيـر الشـمس في البلدانِ

وابن المعين إمـــام كل مـــعـــدل

علـم الـرواة ومـــــــاله مـن ثانِ

أهـدى الخليلُ النجمَ نومَ عـيـونه

والعين ســـفـــر ظاهر البـــرهـانِ

وأقـام من علم العـروض عـجـائبـاً

مـــاكـــان في خلد ولاحـــســـبـــانِ

وروى ابن حـبـان حـديث شـيـوخـه

ألفين من شـــيخ ومن شـــبـــانِ

همم لو ان الدهـر يحـمل بعـضـهـا

لوجـــدته بالعـــزم في رجـــفـــانِ

هذا ابن عـبـد البـر في تمهـيـده

أفـنـى ثـلاثـيـنـاً مـن الأزمـــــــانِ

وكـــذا ابن حـــزم ألمعي زمـــانه

قـــد حل في العـليـــاء أيَّ مكانِ

والظاهـري هو النهـاية في العـــلا

بـل قـــــدوة لـنـوابغ الأزمـــــانِ

obeikandl.com

أمـا ابن تيـمـيـةٍ فـأعظمُ قـصـة

في الجـمع والتـحـقـيق والإتقـانِ

أنفـاسـه في العلم حـتى حـدثوا

عن عـزمـه قـاصي الملا والداني

في اليـوم يكتب عـشـر كـراس كـذا

تعليـمـه في همـة وتفـانِ

وله المواقف في الجـهـاد فسل بهـا

أهل النقـول وحـافظي البلدانِ

هذا البـخـاري أنفق الأوقـات في

جـمع الحـديث وسنة العـدناني

ولـربمـا تـرك الفـراش بـليـلة

مـتـذكـراً مـا غـاب بالنسـيـانِ

قلبي على أهل الحـديث وحـزبهم

هم صـفـوة الأخـيـار كل زمـانِ

كم فـيـهمُ من باذل لرقـاده

من أجل قـول رسـول ذي الفـرقـانِ

ومـشـتت العـزمـات لا يلوي إلى

أهل ولا صـحب ولا جـيـرانِ

obeikandl.com

أَلِفَ النَّوى حـــتى كـــأن رحـــيله

لـلـبـين رحـلـتـــــــه إلـى الأوطـانِ

يـا دمع أســـعـــفني على ذكـــراهـمُ

واهجـــر قـفـــا نبكي لكل جـبـــانِ

ذرعـــوا البـــلاد وخلفـــوا أوطانهم

قطعـوا القـفـار بصـحـبـة السـرحـانِ

جـاعـوا فـمـا شـبـعـوا وكل مـرادهم

عن سـعـد عن عـمـــار عن سلمـانِ

واذكـر أبا إسـحـاق من شـيـراز في

فـــقـــه وتـأصـــيل وحـــسن بيـــانِ

مـــــائة من المرات كـــرر درســـــه

من قـبـل شـــرح فـيـــه للإخـــوانِ

ويكرر التنظيـــر ألفـــا صـــابراً

مـع أنـــه فـي الـزهـد شـيء ثـانِ

ومـحـــمـد بن جـرير في تاريخـه

أمـــــلاه من ذهن بلا نســـــيـــــانِ

تفـسـيـره من حـفظه فـأعـجبُ له

يا همـــة تســـمـــو على كـــيـــوانِ

واعـرف جـلال القـدر لابن خـزيمة

صـافي القـريحـة فـائق الأقـرانِ

وأبو الفـداء ابن العـقـيل الحنبلي

حـفـاظ أنفـاس ورب مـعـانِ

وله الفنـون يكـون ألف مـجلد

من غـيـر مـا أمـلاه في الديوانِ

بل كـان أكل الكعك دون الخـبـز من

عـاداته حـفظاً لذي الأزمـانِ

وانـظر إلـى المـزنـي كـرر دهـره

سـفـر الرسـالة نسـخـة الرباني

خـمس مـئـات وهو فـيـهـا دائب

من غـيـر مـا ملل ولا نكرانِ

أمـا ابن جـوزي الجليل فـإنه

قـد صـاغ ألف مـؤلف ببنانِ

جـمع العلوم وجـد في تحـصـيلهـا

حـتى دعـوه بواعظ البلدانِ

لا تنس حـافظ عـصـره في مـصـره

ذا الفـتح والتـهـذيب والميـزانِ

شرح البخاري خير شرح كامل

لا هجرة من بعد فتح ثانِ

سلم على الذهبي وانظر جده

إذ بز حفظاً سائر الأقرانِ

وله مع النبلاء تاريخٌ له

وتذكر الحفاظ من أزمانِ

هذا النواويّ مات قبل مشيبه

من بعد تحقيق مع الإتقانِ

هجر الكرى للعلم وهو مثابر

حتى الزواج رماه بالهجرانِ

فأجاد في تأليفه حتى غدا

شمس العلوم وقصة الركبانِ

هذا السيوطي فاق في تصنيفه

حتى لقد قالوا له مئتانِ

وعلى ابن خلدون تحية شاعر

يا عبقري الدهر نعم البانِ

لما نفوه أتى بتاريخ له

ذكراه من صنعا إلى تطوانِ

أمـا ابن سـينا فـهـو صـاحب همـة

كـــالنار فـي حطب من العـــيـــدانِ

حـتى على ظهـر البـعـيـر تراه في

تـأليـفـــه يا صـــبـــر شـيـخ فـــانِ

وانظر إلـى الرازي في تـاريـخـــــه

وابن الكثـيـــر وصـــاحب البـــرهانِ

والقـــيم الجـوزي وابن دقـيـــقـــهم

وابن الوزير وبعـــده الصنعـــاني

والعـــالم النحـــرير صـــاحب همـــة

وقـــــادة أعني به الشـــوكـــــاني

الكل في جلد على تحـــصـــيله

مـــتـــدرعـــاً بالصـــبـــر والسلوانِ

وأراك في نوم عـــمـــيق لاهيـــا

يا خـــيـــبـــةً للفـــاشل الكســـلانِ

قـضَّيت عـمـرك في اللذائذ سـادراً

يشـجـيـك يا حـيـران صـوت أغـانِ

فـاطرح أمـاني اللهـو واصـعـد واثبـاً

للمـجـد واترك صـحـبـة الولهـانِ

شـمِّـر وواصل للمـعـالي دائبـاً

واهجـر فـديت وسـاوس الشـيطانِ

واحـفظ زمـانك واحـتـرس من فـوته

واذكـر إذا مـا صـرت فـي الأكـفـانِ

وانظـر إلى القـمـري أصـبـح غـادياً

فـي نَـيْـلِ رزق لـيـس بـالمتـــــوانِ

والنمل مـا عـرف النكوص ولم يزل

مـتـوثبـاً في الصـخـر والصّـوانِ

والنحل مص رحـيـقـه من زهـرة

والبـاز خلف الصـيـد في طيـرانِ

والسـهم لولا وثبـه من قـوسـه

لم يلق صـيـداً وهو في القـضـبـانِ

السـيل لولا زحـفـه بتـدفق

مـا كـان يدعى هادم الجـدرانِ

والليث لما هاج عـفَّـر بالردى

ظبـيـاً وأهدى الموت للثـيـرانِ

والـذئـب لمـا هـاج فـي أوطـانـه

حـاز الكبـاش وفـاز بالحـمـلانِ

obeikandl.com

والشـمس لو بقـيت لمل مـقـامـهـا

والماء إن يركـد فـغـيـر مـصـانِ

والـريـح لـو سـكـنـت لمـا أهـدت لـنـا

أرج الـزهـور ونفـحـة الـريـحـانِ

والبـدر لو لـزم المقـام ببـرجـه

مـا كـان حـاز المدح من إنسـانِ

حـتى الـذبـاب لـه طنـين زائـد

كـزئيـر ليث فـاتك غـضـبـانِ

لولا اشـتـعـال النار فـيـمـا جـاورت

لـم تسـم عـن تـرب وعـن دخـانِ

والعـود لو لـزم المقـام بـأرضـه

حطب يحـرق في لظى النيـرانِ

در البـحـور على النحـور لأنه

يسـعـى إلى الغـواص بـالأحـضـانِ

وجـواهـر التـاج المرصع لم يكن

لولا الفـؤوس سـوى حـصـى المرانِ

فـاكـتب لنفـسك أنت تـاريخـا ولا

تذكـر لنـا الأجـداد من أزمـانِ

obeikandi.com

فـــالورد من بصل وزهـر الروض مـن

شـــوك وطيب المسك من غـــزلانِ

وبـلال عـــبـــد وهو فـــينـا ســـيـــد

وانظر إلى عـــمـــار أو سلمـــانِ

وعطاء مـــولى والصـــقليُّ الذي

عَـــمَـــرَ الديارَ يعـــد نسل قـــيـــانِ

مـا ضـــرهم إن فـاتهم نسب العـلا

بنفـــوســـهم فـــاقـــوا بني الإنســـانِ

كم فـــاشل فـي عـــمـــره من أســـرة

مـــرمـــوقـــة في المجـــد والسلطانِ

لـــم يـــغـــنـــه نـــســـب ولـــو آبـــاؤه

من آل شـــروان وعـــبـــد مـــدانِ

واذكـــــر أبا لهب أليس جـــــدوده

مـن آل هـاشـم درة الأزمـــــــــانِ

لكنَّ نفس النذل لم تصـــعـــد به

كـــبـــلال في فـــضل وفي إيمانِ

لاتأنف العـــمل المبـــاح فـــإنه

شـرف الحـيـاة ومـفـخـر الشـبـانِ

obeikandl.com

يغنيك عن فَـسْلِ بَخِـيْلٍ فـاجـر

ويكف وجـــهك عن رفـــيق هوانِ

حَـمْلُ الصـخـورِ أخفُّ من حـمل الأذى

مـن مـــــــانع لـعـطـائـه منـانِ

قم فـــاطلب الأرزاق من أبوابهـــا

لـو أنهـــا فـي الصين واليـــابانِ

بكِّرْ لكسب القـوت واحـرص أن تكن

ذا نيـــة لـتـــثـــاب مـن ديانِ

ودع التكبـــر فـالحـــلال عـبـادة

لـو كـنـت تـطـلـي الإبـل بـالـقـطـرانِ

أو كنت تبني حـــائطا وتجـــذ من

نخل وتسـقي الزهر في البـسـتـانِ

يكفـيك فـي شـرف المقـام بمهنة

الأنبـيـــاء رعـــوا قطيع الضـــانِ

داود حـــــداد ويـوسف تـاجـــــر

إدريس خـاط غـلائل القـمـصـانِ

والخـضـر طاف الأرض يعـبـد ربه

وانظر مـزيد الفـضل عن لقـمـانِ

obeikandl.com

أو مـــا ترى الفـــراء وهـو مـــبـــجل

كـــانت صناعـــتـــه جلود الضـــانِ

وانظر إلى الزجَّـــاجِ وهـو إمـــامنا

في النحـــو كـــان مـــزينَ الألوانِ

وكـــذا ابن زيات الوزير مـــحـــمـــد

قـــد باع زيت الناس في بغـــدانِ

وأبو حنيـــفـــــة كـــان بزازا وذا

كـــابن المبـــارك تاجـــر الرضـــوانِ

وأعـــــــوذ بـالـلـه الـكـريم إلـهـنـا

من عـــاجـــز في الناس أو كـــســـلانِ

أو باطل أو عـــــاطل أو فـــــارغ

رأسُ الأمـــاني مـــالُ كلِ جـــبـــانِ

جلســوا مع الأشــرار في أوهامـهم

فـــبُلواً بكل وســـاوس الشـــيطانِ

بل قـــال وليم جـمس إن فـــراغنا

كـبـســول مـــوت في يد الشـــبـــانِ

وانظر نيـــوتن عـــبـــقـــري زمـــانه

مـــا كـــان يتـــرك شـــغله لثـــواني

حـــتى أتى بعـــجـــائب وغـــرائب

علم الـرياضـــيـــات والحـــســـبـــانِ

واذكـــر انشـــتـــاين يعـــقـــد نســـبـــة

هـي آية فـي عـلم أهـل الـشـــــانِ

وكـذا أبو إســحـــاق من نيـــرون في

يوم الـوفـــاة يجـــد في الإتقـــانِ

وأذكـــر لنا أدســـون يوم صـــراعـــه

في الكهـــرباء بحـــرقـــة وتفـــانِ

عـــشـــر من الآلاف جـــرَّب فكره

في شـــغل تيـــار من النيـــرانِ

وآعـــجب للنكولن من رئيس بارع

نشـــر العـــدالة وهو أمـــريكاني

قـد كـان يقـرأ فـوق ظهـر حصـانه

في مـوكب كـالبـحـر في الهـيـجـانِ

وغـدا تشـرشل وهو رهـن فـراشـه

مـن ألمـع الحـكـام لـلـرومـــــــانِ

هـذا وهـم لا يطلبـــون الأجـــر من

رب الوجـــود مـــصـــور الإنســـانِ

obeikandl.com

لكنهم أنفـــوا فـــوات زمـــانهم

من غـيـــر مـــا جـهـد ولا إتقـــانِ

ملؤوا المكان صناعـــــة وزراعـــــة

وبـراعـــــة في الســـــفح والوديانِ

وصلوا إلـي المريخ حـــــتى أنزلوا

في أرضـــــه ســـفنا بـلا إنســـــانِ

واعـــــجب مـــــعي من ثورة هدارة

دلفت كـــمـــوج البـــحـــر من يابانِ

وبني قـومي في ســبـات منامـــهم

يا حـــيـــرة للخـــامل الحـــيـــرانِ

خف الحـديث لهم فـأصبـح همـهم

في ســـــهـــــرة ولـذائذ وأمـــــانِ

واطلب بـجـــــدك كل علـم نافـع

واحـــرص عليـــه غـــاية الإمكانِ

قـيـد وذاكـر واسـتـفـد واكـتب ولا

تـكـسـل عـن الـتـكـرار كـل أوانِ

لـو كنت تعلم مـــا النتـــائج لم تنم

إلا كـنـوم الـذئـب بـين الـضـــــــانِ

obeikandl.com

أتقن إذا مـــا رمت شـــغـــلا إنه

لا خـــيـــر في عـــمل بلا إتقـــانِ

لا تتـــركنّ أمـــراً يحل بيـــومـــه

لغـــد فـــإن غـــداً لشـــغل ثانِ

إن الأهم على المهم مـــقـــــدم

راعِ التـــــدرج عند أهل الشـــانِ

وعليك بالترتيب واحـرص أن ترى

وسطا بلا فـــوت ولا نقـــصـــانِ

في هيـــئـــة مـــقـــبـــولة ورزانة

مع خـشـيـة في السـر والإعـلانِ

عش في حدود اليوم واترك ما مضى

واهجـر غـدا فـاليـوم ضـيف دانِ

واحـذر فـراغك فـهـو لص جـاثم

يدعـوك للإهمـال والعـصـيـانِ

إن الفـــراغ خـــديعـــة لعـــقـــولنا

ومـــــحطة للهم والأحـــــزانِ

واقـصـد إلى عـمل تجـيـد أداءه

حـــتى تكون لحـــسنه مـــتـــفـــانِ

وعليك بالتنويع في الأعـمـال والأ

قـــــوال والأوضـــــاع والأوزانِ

فـالقلب ذو ملل وخـيـر أن ترى

مـــتنقـــلا بالجـــد في ألوانِ

وإذا النـجـوم تســابقت وتنزلت

كـل إلـيـك مـن المجـــــرة دانِ

فـاخـتـر أشـد نجـومـهـا نورا ولا

تخـــتـــار إلا منـزل الكيـــواني

فـالليث لا يأكل فـريسـة غـيـره

لو بات رهن الجـوع في قـضـبـانِ

والبـــرق لما أن عـــلا في جـــوه

لمحـــوه بالأبصـــار في رجـــفـــانِ

والغـيم لما اخـتـار عـز مـحلّه

فـاق الجـبـال كـهـيـئـة الـتـيـجـانِ

ركب الملوك الخـــيل لما هملجت

أمـا الحـمـيـر فـمـركب الكسـلانِ

وانظر إلى الذهب المرصع صـابرا

لم ينصـــهـــر بحـــرارة النيـــرانِ

قد صار أغلى من رموش عيوننا

فاق الحديد التافه الأثمانِ

قالوا لطير الحش مالك ساقط

قال الهوان على أبي جعلانِ

ولثعلب قالوا له أَوَمَا ترى

ليث العرين يسود في الحيوانِ

فأجاب ليث الغاب عِيسٌ أكله

وأنا رفيق الهر والفئرانِ

والسيف لما صار أمضى مضربا

حفظوه في قرب وفي غمدانِ

أتريد سكنى جنة وتنام عن

داعي الصلاة أذاك في إمكانِ

أتريد أن تحظى بمنزل ماجد

وتظل رهن عزائم الصبيانِ

أتريد رفقة أحمد وصحابه

وأراك رب بلادة وأمانِ

كلا لقد كَذَبَتْك نفسك إنما

هذي الأماني خدعة الشيطانِ

obeikandl.com

المجـد أقـسم لا أسـاق لفـاشل

لـو أنـه كـسـرى أنـو شـروانِ

أمـا العـلا فـأبت مـحـبـة خـامل

لـو كـان نسل اسكندر اليـونـاني

وأبى النجـاح دخـول كل مـقـصـر

لو كـان فـي الأجـداد كـالنعـمـانِ

من غـاص في قـاع البـحـار أتى لنا

بالماس والياقـوت والمرجـانِ

وأخـو الخـمـول مـخـدر في بيـتـه

في منـزل الأوباش والصـبـيـانِ

أرني سـواعـدك القـوية انتـشي

من حـسنهـا فـصـريفـهـا قـواني

فلرؤية العلمـاء والعـمـال والـ

ـصناع في عـزم وفي إتقـانِ

أشـهى إليّ من الفنون جـمـيـعـهـا

أو صـوت غـانيـة وعـزف قـيـانِ

ولمطرقُ الحـدَّادِ أبهى منظـراً

مـن دف ذي طـرب عـلـى الأوزانِ

obeikandi.com

هاتوا طبيبا واحدا متألقا

بجميع من في الأرض من فنانِ

وخذوا صفوف العابثين جميعهم

لمهندس في أرضنا يقظانِ

لو أن أهل الغرب كانوا مثلنا

في الرقص والتهريج والهذيانِ

ما سيَّروا طيارة وسفينة

أو أرسلوا الصاروخ كالبركانِ

أسفا على قومي وهم أحفاد من

شادوا صروح المجد في البلدانِ

كنَّا بحارا في البحار وربما

صارت منائرنا ندا الرحمانِ

مَنْ غيرُنا كشفَ الظلامَ ولم نكن

إلا نجوم سماء كل زمانِ

بالليل رهبان وعند لقائنا

لعدونا من أشجع الشجعانِ

حتى تركنا المجد يهتف صارخا

أين الألى ملكوا يدي ولساني

obeikandl.com

يا ألف أغنيـــة تخـــدر جـــيلنا

يا ألف فلم خـــائب فـــتـــانِ

هب لي دمـــاغـــا زاكـــيـــا لأرى به

صنع الخـــبـــيـــر الواحـــد المنانِ

وخـــذ الألوف إليك من أوطاننا

من غـــيـــر مـــا عـــوض ولا أثمـــانِ

رفـعـوا لنا الأسـعـار في تعـدادهم

بل أكـسـدوا حـتى الهـواء الداني

عـدد الحـصى والـرمل في تعـدادهم

لكنـهم كـــالـريش في الميـــزانِ

نســـتـــورد المصنوع والمزروع والـ

ـمنســـوج حـتى جـزمـــة الولدانِ

القـدر من رومـا وصـحن طعـامنا

من لندن والرز باكـــســـتـــاني

والثـوب من أثينا وخـتم شـمـاغنا

بســويســرا والخـــبـــز من يوناني

ونقـــول نحن أجل من وطأ الثـــرى

وطأ الثـــريا غـــيـــرنا بثـــمـــانِ

هل كـوكب الشـرق استـردت قـدسنا

أو حـــل فـــي المـــريـــخ دانٍ دانـــي

obeikandl.com